Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا وازنا بين ابن حزم وصاحبه ابن شُهيد وجدناهما يتفقان فى أشياء ويختلفان فى أخرى ، فالأول لاذ بالصبر واتكأ عليه ، وتنضح أبياته زهدًا وتشاؤمًا ، وردَّ ما حدث إلى الدهر والقدر ، أما الثانى ، وهو ابن شهيد ، فلم يدع أصلا إلى الصبر ، وإيقاعه ، مع ذلك ، هادىء مستسلم ، ورأى ما حدث جورًا من الزمان ، وعرض لما كان فى المدينة من مجالس العلم ، والفن وألوانه ، ولم يشر ابن حزم إلى شىء من هذا . وبعامة كان ابن شهيد ، وهو شاعر أصلا ، أرق موسيقا ، وأسلس لفظا ، وأوضح عفوية ، وكان فى شعر ابن حزم ، وهو بعض مواهبه ، شيئًا من البطء والرتابة ، يوحى بأنه ينتزع أبياتها انتزاعًا ، فتجىء تجرها خيول على حد التعبير الإسبانى ، ويتحرك معها ، أو بها ، داخل أسوار عالية لا يستطيع اجتيازها ، وكثرت فيها المحسنات اللفظية من جناس وطباق ، وهو أمر قل أن يجىء عفوا ، ولكن الحق أن كليهما كان يصدر عن عاطفة صادقة وقلب كليم !.

●

كان بكاء ابن حزم وصاحبه مدينتهما الحلوة فاتحة رثاء كثير خُصَّتْ به ، حزين وعابر ، يجىء فى أبيات قصيرة ، أو هذا ما وصلنا منه ، خطرات نفس مكلومة ، قبل لحظة المحنة ، كتلك الأبيات التى حفظها لنا ابن عذارى ، فى كتابه « **البيان المغرب** » لشاعر مجهول لم يذكر اسمه ، يبكى فيها عاصمة الخلافة :

ابْكِ على قرطبةَ الزينِ فقد دهْتها نظرةُ العَيْنِ
أنظرَها الدهرُ بأسلافهِ ثم تقاضى جملةَ الدَيْنِ
كانت على الغاية من حسنها وعيشها المستعذبِ اللَيْنِ
فانعكس الأمرُ فما إنْ ترى بها سرورا بين اثنَيْنِ
فاغدُ وودعها وسْر سالما إن كُنْتَ أزمعتَ على البينِ

وهى أبيات فاترة الروح ، مجرد نظم دفع صاحبه إليه هول الكارثة ، فهو أصلا ليس بشاعر . ونلتقى بشاعر مجهول آخر ، والرواية لابن عذارى أيضًا ، وهو يأخذ طريقًا مختلفًا عن صاحبه ، فهو يشمت فى القرطبيين شمت المغيظ ، وينعى عليهم غفلتهم ، ومباركتهم إليه من حياة الدعة ، وأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، والأبيات قيلت فيما يبدو فى بداية